

شرح
حديث السبعة
الذين يظلهم الله في ظله
للإمام
ابن رجب الحنبلي
رَحِمَهُ اللهُ

شرح
محمد بن سعيد ابن طوق المري
وَفَّقَهُ اللهُ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين (١).

أما بعد فهذه قراءة لحديث (السبعة الذين يُظْلَهُم الله في ظِلِّه يوم لا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ) بشرح الحافظ ابن رجب في «فتح الباري»، والحديث مُخرَج في «الصحيحين».

قال الحافظ ابن عبد البر في «التمهيد»: (هذا أحسن حديث يُروى في فضائل الأعمال، وأعمُّها، وأصحُّها إن شاء الله، وحسْبُك به فضلاً، لأنَّ العلم محيطٌ بأنَّ مَنْ كان في ظِلِّ الله يوم القيامة لم يَنْلُه هول الموقف).

ويومُ القيامة يومٌ عظيمٌ هَوْلُهُ، شديدٌ كَرْبُهُ، هو يوم الصَّاخَّة، والقارعة، والطَّامَّة، والحاqqة، والزَّلزلة، يقوم النَّاس فيه لرَبِّ العالمين، يقول الله **عَزَّوَجَلَّ** فيه لآدم **عَلَيْهِ السَّلَامُ**: «أَخْرِجْ بَعَثَ النَّارِ، مِنْ كُلِّ آلَفٍ: تِسْعَ مِئَةٍ وَتِسْعَةً وَتِسْعِينَ»، فذلك حين يَشِيب الصَّغِيرُ، ﴿وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمَلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَرَى وَمَا هُمْ بِسُكَرَى وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾ [الحج: ٢].

لا تدري الرُّسُل بِمَ تَجِيب فيه فَرَعًا مِنْ هَوْل ذلك اليوم، ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّمُ الْغُيُوبِ﴾ [المائدة: ١٠٩]، قال السُّدِّي في تفسير الآية: (ذلك أَنَّهُمْ نزلوا منزلاً ذَهَلَتْ فيه العقول).

(١) أصل هذه الأوراق مجلس في التعليق على شرح حديث «السبعة الذين يُظْلَهُم الله في ظِلِّه يوم لا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ» كان في السادس من ذي الحجة عام ١٤٤٧هـ، وقد اطلع الشارح على هذه الأوراق قبل نشرها. (رابط الشرح الصوتي) (رابط الشرح على اليوتيوب).

بكى مسعر بن كدام وقال لأُمّه: (يا أُمّاه، لِمِثْلِ ما نَهَجُمُ عليه غداً فلنُطِل البكاء)
قالت: (وما ذاك؟) فانتحب فقال: (القيامة وما فيها).

في ذلك اليوم العظيم «تُدْنِي الشَّمْسُ مِنَ الْخَلْقِ حَتَّى تَكُونَ كَمِقْدَارِ مِيلٍ، فَيَكُونُ النَّاسُ عَلَى قَدَرِ أَعْمَالِهِمْ فِي الْعَرَقِ: فَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ الْعَرَقُ إِلَى كَعْبَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى حَقْوَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُلْحِمُهُمُ الْعَرَقُ إِلْجَامًا»، وأشار رسول الله ﷺ إلى بيده إلى فيه.

في ذلك الموقف العظيم في عرصات القيامة ثمَّ أناسٌ مخصوصون بنعمةٍ من الله عظيمة، ومِنَّةٍ منه جسيمة، وهي أَنَّهُمْ يكونون في ظِلِّ عَرْشِ الرَّحْمَنِ، قد أَمَّنَهُمُ الله يوم الفرع الأكبر وآواهم إلى ظِلِّهِ، نسأل الله أن يجعلنا منهم.

وفي هذا الحديث تسمية سبعة أصنافٍ منهم، قال النَّبِيُّ ﷺ: «سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ: الْإِمَامُ الْعَادِلُ، وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ رَبِّهِ **عَرَفَ جُلَّ**، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُتَعَلِّقٌ فِي الْمَسَاجِدِ، وَرَجُلَانِ تَحَابَّا فِي اللهِ، اجْتَمَعَا عَلَى ذَلِكَ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ، وَرَجُلٌ طَلَبَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ فَقَالَتْ: إِنِّي أَخَافُ اللهَ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ أَخْفَى حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللهُ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ».

قال الحافظ ابن رجب **رَحِمَهُ اللهُ**: (هذه السَّبعة اختلفت أعمالهم في الصُّورة، وجمَعها معنًى واحد، وهو مُجاهدتهم لأنفسهم، ومخالفتهم لأهوائها).

نعم، أنت إذا تأملت السَّبعة الذين يُظِلُّهمُ الله في ظلِّ عرشه يوم لا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ وجدتهم إنما نالوا ذلك الظِّلَّ بمخالفة الهوى:

- فَإِنَّ الْإِمَامَ الْمُسْلِمَ الْقَادِرَ لَا يَتِمَكَّنُ مِنَ الْعَدْلِ إِلَّا بِمُخَالَفَةِ هَوَاهُ.
- وَالشَّابُّ الْمُؤَثِّرُ لِعِبَادَةِ رَبِّهِ عَلَى دَاعِي شَبَابِهِ لَوْلَا مُخَالَفَةُ هَوَاهُ لَمْ يَقْدِرْ عَلَى ذَلِكَ.

- والرجل الذي تعلّق قلبه بالمساجد إنّما حمّله على ذلك مخالفة الهوى الدّاعي له إلى أماكن اللذات.

- والمتحابّان في الله في وقتٍ صارت فيه عامّة مؤاخاة الناس على أمر الدنيا إنّما آثروا ذلك مخالفة لهواهم.

- والمتصدّق المخفي لصدقته عن شماله لولا قهّره لهواه لم يقدر على ذلك.
- والذي دعت المرأة الجميلة الشريفة فخاف الله عزّ وجلّ لولا قهره لهواه لم يقدر على ذلك.

- والذي ذكر الله خاليًا ففاضت عيناه من خشيته إنّما أوصله إلى ذلك مخالفة لهواه.
فلم يكن لحرّ الموقف وعرقه وشدّته سبيلٌ عليهم يوم القيامة.
وأصحاب الهوى قد بلغ منهم الحرّ والعرق كلّ مبلغ، نسأل الله العافية.
ذكره ابن القيم في «روضة المحبّين».

قال الحافظ ابن رجب رَحِمَهُ اللهُ: (وذلك) أي مخالفة النّفس ومجاهدة الهوى (يحتاج أولًا إلى رياضةٍ شديدةٍ وصبرٍ على الامتناع ممّا يدعو إليه داعي الشهوة أو الغضب أو الطّمع، وفي تجشّم ذلك مشقّةٌ شديدةٌ على النّفس، ويحصل لها به تألّمٌ عظيم، فإنّ القلب يكاد يحترق من حرّ نار الشهوة أو الغضب عند هيجانها إذا لم يُطفأ ببلوغ الغرض من ذلك، فلا جرم كان ثواب الصّبر على ذلك أنّه إذا اشتدّ الحرّ في الموقف ولم يكن للنّاس ظلٌّ يظلّهم ويقيهم حرّ الشّمس يومئذ كان هؤلاء السّبعة في ظلّ الله عزّ وجلّ، فلم يجدوا لحرّ الموقف ألمًا، جزاءً لصبرهم على حرّ نار الشهوة والغضب في الدّنيا).

جزاء من جنس عملهم، فهم لما خافوا الله في الدنيا فاتصفوا بهذه الخصال من خصال الإيمان والتقوى آمنهم الله يوم الفزع الأكبر، فقابل خوفهم بالأمن، كما قال الله **تعالى** في الحديث القدسي: «وَعِزَّتِي لَا أَجْمَعُ لِعِبْدِي أَمْنَيْنِ وَلَا خَوْفَيْنِ، إِنْ هُوَ أَمْنِي فِي الدُّنْيَا أَخَفُّهُ يَوْمَ أَجْمَعُ عِبَادِي، وَإِنْ هُوَ خَافَنِي فِي الدُّنْيَا أَمَّنْتُهُ يَوْمَ أَجْمَعُ عِبَادِي».

قال الحافظ ابن رجب **رحمه الله**: (وأول هذه السبعة: الإمام العادل، وهو أقرب الناس من الله يوم القيامة).

رُوي في ذلك: ما أخرجه أحمد في «المُسند»، والترمذي في «الجامع»: عن أبي سعيد الخدري **رضي الله عنه**: أنه قال: قال رسول الله **صلى الله عليه وسلم**: «إِنَّ أَحَبَّ النَّاسِ إِلَى اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَذْنَاهُمْ مِنْهُ مَجْلِسًا: إِمَامٌ عَادِلٌ، وَأَبْغَضُ النَّاسِ إِلَى اللَّهِ وَأَبْعَدُهُمْ مِنْهُ مَجْلِسًا: إِمَامٌ جَائِرٌ» وفي إسناده ضعف.

لكن يشهد لصحة معناه: حديث مسلم الآتي قريباً.

قال: (وهو على منبرٍ من نورٍ على يمين الرحمن عز وجل).

أخرج مسلم في «الصحيح»: عن عبد الله بن عمرو **رضي الله عنهما** أنه قال: قال رسول الله **صلى الله عليه وسلم**: «إِنَّ الْمُقْسِطِينَ عِنْدَ اللَّهِ عَلَى مَنَابِرٍ مِنْ نُورٍ عَنْ يَمِينِ الرَّحْمَنِ عز وجل، وَكُنَّا يَدَيْهِ يَمِين، الَّذِينَ يَعْدِلُونَ فِي حُكْمِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ وَمَا وَلُّوا».

وحديث أبي سعيد **رضي الله عنه** السابق عند «الترمذي» وإن كان ضعيف الإسناد كما سبق إلا أنه يشهد لقرب الإمام العادل من الله: حديث مسلم هذا، قال: «إِنَّ الْمُقْسِطِينَ عِنْدَ اللَّهِ عَلَى مَنَابِرٍ مِنْ نُورٍ عَنْ يَمِينِ الرَّحْمَنِ عز وجل».

قال الحافظ ابن رجب **رحمه الله**: (وذلك جزاء لمخالفته الهوى، وصبره عن تنفيذ ما تدعوه إليه شهواته وطمعه وغضبه، مع قدرته على بلوغ غرضه من ذلك، فإن الإمام



العاذل دعتة الدُّنْيا كلُّها إلى نفسها فقال: "إني أخاف الله ربَّ العالمين"، وهذا أنفع الخلق لعباد الله، فإنَّه إذا صلح صلحت الرَّعيَّة كلُّها).

قال سفيان الثَّوريُّ رَحِمَهُ اللهُ: (صنفان إذا صلحا صلحت الأُمَّة، وإذا فسدا فسدت الأُمَّة: السُّلطان، والعلماء).

ولهذا كان السَّلف كالفضيل بن عياض وأحمد ابن حنبل رَحِمَهُمَا اللهُ وغيرهما يقولون: (لو كان لنا دعوةٌ مُجابة لدعونا بها للسُّلطان).

قيل للفضيل بن عياض: (يا أبا علي، فسّر لنا هذا) قال: (إذا جعلتها في نفسي لم تُعَدني، وإذا جعلتها في السُّلطان صلح فصلح بصلاحه العباد والبلاد).

قال الحافظ ابن رجب رَحِمَهُ اللهُ: (وقد رُوي أنَّه ظلُّ الله في الأرض): يشير إلى ما أخرجه ابن أبي عاصمٍ في «السُّنَّة» والبيهقي في «الشَّعب» من حديث أبي بكرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «السُّلطانُ ظلُّ الله في الأرض، فَمَنْ أَكْرَمَهُ أَكْرَمَهُ اللهُ، وَمَنْ أَهَانَهُ أَهَانَهُ اللهُ» وفي إسناده ضَعْفٌ إِلَّا أَنَّ معناه صحيح، ويشهد له: حديث «الصَّحيحين»: «إِنَّمَا الإِمَامُ جُنَّةٌ».

فالسُّلطان العادل في الدُّنيا ظلُّ يُستظلُّ بَعْدَله، ويؤوَى إليه، ويُستراح بَفَيْئه. فالظلُّ فيه استقرارٌ وراحةٌ ووقايةٌ واجتماع، وفيه يقع ثمر الشَّجر إن كان مُثمراً. فإذا فُقِد السُّلطان العادل كان حال النَّاس كحال مَنْ عَدِم الظِّلُّ، فهُم في السَّمووم ولهيب الشَّمس.

قال الحافظ ابن رجب رَحِمَهُ اللهُ: (لأنَّ الخلق كلَّهم يستظلُّون بظلِّه، فإذا عدلَ فيهم أظله الله في ظلِّه)، فكما كان النَّاس في ظلِّ عدلِ الإمام العادل في الدُّنيا كان هو في ظلِّ عرش الرَّحمن يوم القيامة، ظلًّا بظلِّ، جزاءً وفاقاً.

وقد رجَّح الحافظ ابن عبد البرّ في «التَّمهيد»، والحافظ ابن حجر في «الفتح»: أنَّ الإمام العادل في الحديث ليس خاصًّا بالسُّلطان، بل يدخل فيه: كلُّ مَنْ له ولايةٌ على غيره يَعْدل فيها.

وقدَّم الإمام العادل في الذكر، لعموم النِّفع به، وتعدّي نفعه إلى غيره.

ثمَّ قال الحافظ ابن رجب رَحِمَهُ اللهُ: (والثَّاني: الشَّابُّ الَّذِي نَشَأَ فِي عِبَادَةِ اللهِ عَزَّجَلَّ، فَإِنَّ الشَّابَّ شُعْبَةٌ مِنَ الْجُنُونِ)، رُوِيَ بهذا اللَّفْظ مرفوعاً إلى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

والمحفوظ: وَقَفَهُ عَلَى ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أَخْرَجَهُ عَنْهُ: ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ فِي «المُصَنَّف»: أَنَّهُ قَالَ: «الشَّابُّ شُعْبَةٌ مِنَ الْجُنُونِ».

(وهو دَاعٍ لِلنَّفْسِ إِلَى اسْتِيفَاءِ الْغَرَضِ مِنْ شَهَوَاتِ الدُّنْيَا وَلَذَاتِهَا الْمَحْظُورَةِ): فالشَّابُّ مِزْجٌ غَلَبَتِ الشَّهْوَةُ، لِمَا فِيهِ مِنْ قُوَّةِ الْبَاعِثِ عَلَى مِتَابَعَةِ الْهَوَى، فَإِذَا لَازِمَ الْعِبَادَةِ مَعَ ذَلِكَ كَانَ أَدَلَّ عَلَى غَلَبَةِ التَّقْوَى.

فَحَرِيٌّ بِالشَّابِّ إِذَا نَازَعَتْهُ نَفْسُهُ إِلَى شَيْءٍ مِنْ شَهَوَاتِ الدُّنْيَا: أَنْ يَصْرِفَ مَحَبَّتَهُ إِلَى الْمَحْبُوبِ الْأَعْلَى جَلَّ جَلَالُهُ، وَأَنْ يُذَكِّرَ نَفْسَهُ بِهَذَا الْفَضْلِ الْعَظِيمِ، لِيَكُونَ ذَلِكَ عَوْنًا لَهُ عَلَى مَجَاهِدَةِ نَفْسِهِ عَلَى لُزُومِ الطَّاعَةِ وَالْعِبَادَةِ.

قال: (فَمَنْ سَلِمَ مِنْهُ فَقَدْ سَلِمَ، وَفِي الْحَدِيثِ: «عَجِبَ رَبُّكَ مِنْ شَابٍّ لَيْسَتْ لَهُ صَبَوَةٌ»): أَي لَيْسَ لَهُ مَيْلٌ وَجَنُوحٌ إِلَى مَا يَجْنَحُ إِلَيْهِ الشَّابُّ عَادَةً مِنَ الشَّهَوَاتِ، وَالْحَدِيثُ أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ فِي «المُسْنَدِ»، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «السَّلْسَلَةِ الصَّحِيحَةِ».

وَفِي هَذَا فَضْلٍ أَنْ يَنْشَأَ الشَّابُّ عَلَى الطَّاعَةِ وَالْعِبَادَةِ مُقْبِلًا عَلَى رَبِّهِ، زَامًا نَفْسَهُ عَنْ شَهَوَاتِهَا وَحُظُوظِهَا، وَلَوْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ فَضْلٌ إِلَّا أَنْ يَعْجَبَ رَبُّهُ مِنْهُ فَيَعْظُمَ عِنْدَهُ قَدْرًا، وَيُجْزَلَ لَهُ أَجْرًا كَفَى بِهِ فَضْلًا وَذُخْرًا.

قال: (وفي بعض الآثار يقول الله: (أَيُّهَا الشَّابُّ التَّارِكُ شَهْوَتِهِ، الْمُتَبَدِّلُ شَبَابَهُ مِنْ أَجْلِي، أَنْتَ عِنْدِي كَبْعُضٌ مَلَأْتُكَتِي))، أخرجَه أحمد في «الزُّهد»، وأبو نُعَيْم في «الحِلْيَةِ» عن يزيد بن ميسرة رَحِمَهُ اللهُ: أَنَّهُ قَالَ: (إِنَّ اللَّهَ عَزَّجَلَّ يَقُولُ...) وَذَكَرَهُ.

ويزيد بن ميسرة مِنْ أَتْبَاعِ التَّابِعِينَ، وَإِسْنَادُهُ إِلَيْهِ حَسَنٌ، كَمَا ذَكَرَ الشَّيْخُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «سُلْسَلَةِ الْأَحَادِيثِ الضَّعِيفَةِ» وَقَالَ: (وَهُوَ بِالْإِسْرَائِيلِيَّاتِ أَشْبَهُ)، وَيَزِيدُ بْنُ مَيْسَرَةَ مَشْهُورٌ بِرَوَايَةِ الْإِسْرَائِيلِيَّاتِ.

قال: (وَالثَّلَاثُ: الرَّجُلُ الْمُعَلَّقُ قَلْبُهُ بِالمَسَاجِدِ: فِي رَوَايَةٍ: «إِذَا خَرَجَ مِنْهُ حَتَّى يَعُودَ إِلَيْهِ»): هَذِهِ الرُّوَايَةُ لِمُسْلِمٍ فِي «الصَّحِيحِ»: «وَرَجُلٌ مُعَلَّقٌ بِالمَسْجِدِ إِذَا خَرَجَ مِنْهُ حَتَّى يَعُودَ إِلَيْهِ».

قال الحافظ ابن رجب رَحِمَهُ اللهُ: (فَهُوَ يَحِبُّ المَسْجِدَ وَيَأْلَفُهُ لِعِبَادَةِ اللَّهِ فِيهِ، فَإِذَا خَرَجَ مِنْهُ تَعَلَّقَ قَلْبُهُ بِهِ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْهِ): فَكُنِيَ فِي الْحَدِيثِ بِـ(تَعَلَّقَ القَلْبَ بِالمَسْجِدِ) عَنْ مُحَبَّتِهِ لِلْمَسْجِدِ وَمَلَازِمَتِهِ لَهُ، وَكَثْرَةِ تَرُدُّدِهِ عَلَيْهِ، وَمُحَافَظَتِهِ عَلَى الصَّلَاةِ فِيهِ فِي الْجَمَاعَةِ.

قال الحافظ ابن رجب رَحِمَهُ اللهُ: (وَهَذَا إِنَّمَا يَحْصُلُ لِمَنْ مَلَكَ نَفْسَهُ وَقَادَهَا إِلَى طَاعَةِ اللَّهِ فَانْقَادَتْ لَهُ، فَإِنَّ الْهَوَىٰ إِنَّمَا يَدْعُو إِلَىٰ مُحَبَّةِ مَوَاضِعِ الْهَوَىٰ وَاللَّعِبِ، إِمَّا الْمُبَاحِ أَوْ الْمَحْظُورِ، وَمَوَاضِعِ التِّجَارَةِ وَاكْتِسَابِ الْأَمْوَالِ، فَلَا يَقْصُرُ نَفْسَهُ عَلَىٰ مُحَبَّةِ بَقَاعِ الْعِبَادَةِ إِلَّا مَنْ خَالَفَ هَوَاهُ، وَقَدَّمَ عَلَيْهِ مُحَبَّةَ مَوْلَاهُ)، وَقَدْ سَبَقَ أَنَّكَ إِذَا تَأَمَّلْتَ السَّبْعَةَ الَّذِينَ يُظِلُّهُمْ اللَّهُ فِي ظِلِّ عَرْشِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَجَدْتَ أَنَّهُمْ إِنَّمَا نَالُوا ذَلِكَ بِمُخَالَفَتِهِمْ لِلْهَوَىٰ.

قال الحافظ رَحِمَهُ اللهُ: (وَقَدْ مَدَحَ عُمَارُ الْمَسَاجِدِ فِي قَوْلِهِ: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا أَسْمُهُ، يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾ * رِجَالٌ لَا لُئْلُهُمْ تَحَرُّ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ

وَأَقَامِ الصَّلَاةَ وَإِنَاءَ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ * لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ ۗ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٦-٣٨﴾ [النور: ٣٦-٣٨].

(وفي «المُسْنَد» و«سُنَن ابن ماجه» من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال: «لَا تَوَطَّنَ رَجُلٌ الْمَسَاجِدَ» أي التزم حضورها («لِلصَّلَاةِ وَالذِّكْرِ إِلَّا تَبَشَّشَ اللَّهُ بِهِ كَمَا يَتَبَشَّشُ أَهْلُ الْغَائِبِ بِغَائِبِهِمْ إِذَا قَدِمَ»)، قال البوصيري: (إسناده صحيح).

وهذا فضلٌ عظيمٌ لمن يتوطن المساجد ويلازمها: أن الله يتبشش له ويفرح به، ويلقاه ببرّه وتقريبه وكرامته.

وأَيُّ مسلمٍ يسمع هذا الفضل العظيم ثم لا يرجو أن يكون من أهله؟! قال: (وروى ابن لهيعة، عن دَرَّاج، عن أبي الهيثم، عن أبي سعيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «مَنْ أَلْفَ الْمَسْجِدَ أَلْفَهُ اللَّهُ»)، أخرجه الطبراني في «الأوسط»، وضعفه الحافظ العراقي في «تخريج أحاديث الإحياء».

قال: (ويروى عن سعيد بن المسيب، قال: (مَنْ جَلَسَ فِي الْمَسْجِدِ فَإِنَّمَا يُجَالِسُ رَبَّهُ عَزَّوَجَلَّ)).

ثم قال: (الرَّابِع: الْمُتَحَابَّانِ فِي اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ: فَإِنَّ الْهَوَى دَاعٍ إِلَى التَّحَابِّ فِي غَيْرِ اللَّهِ، لِمَا فِي ذَلِكَ مِنْ طَوْعِ النَّفْسِ أَغْرَاضَهَا مِنَ الدُّنْيَا، فَالْمُتَحَابَّانِ فِي اللَّهِ جَاهِدَا أَنْفُسَهُمَا فِي مَخَالَفَةِ الْهَوَى) وذلك في وقتٍ صارت عامّة مؤاخاة النَّاسِ فيه على أمر الدُّنْيَا (حتّى صار تحابُّهُما وتوادُّهُما في اللَّهِ مِنْ غَيْرِ غَرَضٍ دُنْيَوِيٍّ يَشُوبُهُ، وَهَذَا عَزِيزٌ جَدًّا، وَلَنْ يَتَحَابَّا فِي اللَّهِ حَتَّى يَجْتَمِعَا فِي الدُّنْيَا فِي ظِلِّ اللَّهِ الْمَعْنَوِيِّ، وَهُوَ تَأْلِيفُ قُلُوبِهِمَا عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ،

وإِثَارَ مَرْضَاتِهِ وَطَلَبَ مَا عِنْدَهُ، فَلِهَذَا اجْتَمَعَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي ظِلِّ اللَّهِ الْحَسِيِّ (ظِلًّا بَظِلٍّ، جِزَاءً وَفَاقًا، فَالْجِزَاءُ مِنْ جِنْسِ الْعَمَلِ.

قال: (وقوله: «اجْتَمَعَا عَلَى ذَلِكَ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ»:

- يحتمل أنه يريد: أَنَّهُمَا اجْتَمَعَا عَلَى التَّحَابِّ فِي اللَّهِ حَتَّى فَرَّقَ بَيْنَهُمَا الْمَوْتُ فِي الدُّنْيَا أَوْ غَيْبَةُ أَحَدِهِمَا عَنِ الْآخَرِ)، فَاَلْمَقْصُودُ: أَنَّهُمَا دَامَا عَلَى الْمَحَبَّةِ، لَمْ يَقْطَعَاها لِعَارِضٍ دُنْيَوِيٍّ، بَلْ بَقِيا عَلَى ذَلِكَ حَتَّى الْمَوْتُ أَوْ حَتَّى غَيْبَةُ أَحَدِهِمَا عَنِ الْآخَرِ.

قال: (-) وَيَحْتَمِلُ أَنَّهُ أَرَادَ أَنَّهُمَا اجْتَمَعَا عَلَى التَّحَابِّ فِي اللَّهِ، فَإِنْ تَغَيَّرَ أَحَدُهُمَا عَمَّا كَانَ عَلَيْهِ مِمَّا تَوْجِبُ مَحَبَّتَهُ فِي اللَّهِ: فَارْقَهُ الْآخَرُ بِسَبَبِ ذَلِكَ، فَيَدُورُ تَحَابُّهُمَا عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ (وَجُودًا وَعَدَمًا): الْأَصْلُ: (فَيَدُورُ تَحَابُّهُمَا)، لِأَنَّ الْمُقَرَّرَ فِي الصَّرْفِ: أَنَّ الْحَرْفَيْنِ الْمُتِمَاتِلَيْنِ الْمُتَحَرِّكَيْنِ فِي كَلِمَةٍ يَجِبُ فِيهِمَا الْإِدْغَامُ، فَيُقَالُ: (تَحَابُّهُمَا).

(قال بعض السلف: (إذا كان لك أخ تحبه في الله فأحدث حدثًا فلم تبغضه في الله لم تكن محبتك لله)، أو هذا المعنى).

ثمَّ قال: (الخامس: رجلٌ دعتُه امرأة ذات منصب وجمال: ويعني بالمنصب: النَّسَبُ وَالشَّرَفُ وَالرَّفْعَةُ فِي الدُّنْيَا، فَإِذَا اجْتَمَعَ ذَلِكَ مَعَ الْجَمَالِ فَقَدْ كَمُلَ الْأَمْرُ وَقَوِيَتْ الرَّغْبَةُ، فَإِنْ كَانَتْ مَعَ ذَلِكَ هِيَ الْمُطَالِبَةُ): (المُطَالِبَةُ) ضُبِطَ فِي هَذِهِ النُّسخةِ بِالرَّفْعِ، وَلَعَلَّ الْوَجْهَ فِيهِ النَّصَبُ: فَ(المُطَالِبَةُ) خَبَرُ (كَانَ)، وَ(هي): ضَمِيرُ فَصْلٍ.

كما في قوله تَعَالَى: ﴿وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ﴾ [القصص: ٥٨]، ﴿نَحْنُ﴾ [القصص: ٥٨]:

ضَمِيرُ فَصْلٍ، وَ﴿الْوَارِثِينَ﴾ [القصص: ٥٨]: خَبَرٌ لِلْفِعْلِ النَّاسِخِ.

(فإن كانت مع ذلك هي الْمُطَالِبَةُ الدَّاعِيَةُ إِلَى نَفْسِهَا كَانَ أَعْظَمَ وَأَعْظَمَ، فَإِنَّ الْامْتِنَاعَ بَعْدَ ذَلِكَ كُلِّهِ دَلِيلٌ عَلَى تَقْدِيمِ خَوْفِ اللَّهِ عَلَى هَوَى النَّفْسِ، وَصَاحِبِهِ دَاخِلٌ فِي قَوْلِهِ

تَعَالَى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ﴾ [النازعات: ٤٠] وهذا كما جرى ليوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ.

قال عُبَيْد بن عمير: (مِنْ صِدْقِ الْإِيمَانِ وَبِرِّهِ: إِسْبَاغُ الْوَضُوءِ فِي الْمَكَارِهِ، وَمِنْ صِدْقِ الْإِيمَانِ وَبِرِّهِ: أَنْ يَخْلُو الرَّجُلُ بِالْمَرْأَةِ الْجَمِيلَةِ فَيَدْعُهَا، لَا يَدْعُهَا إِلَّا اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ).
(ومثل هذا: إذا قال: «إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ») فهو صادق في قوله، لأنَّ عمله مُصَدِّقٌ لقوله، وقوله لها: (إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ) موعظةٌ لها، فربَّما تنزجر عن طلبها وترجع عن غيِّها)، فكأنَّه قال ذلك ليزجرها عن الفاحشة بتذكيرها بالله عَزَّوَجَلَّ.

قال: (وقد وقع ذلك لغير واحد، وفيه حكاياتٌ مذكورةٌ في كتاب «ذمُّ الهوى» وغيره): كتاب «ذمُّ الهوى» لابن الجوزي رَحِمَهُ اللَّهُ.

ومِنْ ذَلِكَ: ما في «الصَّحَّاحِينَ» مِنْ خَبَرِ الثَّلَاثَةِ أَصْحَابِ الْغَارِ، الَّذِينَ خَرَجُوا يَمْشُونَ فَأَصَابَهُمْ مَطَرٌ فَدَخَلُوا فِي غَارٍ فِي جَبَلٍ فَانْحَطَّتْ عَلَيْهِمْ صَخْرَةٌ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: (إِنَّهُ لَا يُنْجِيكُمْ مِنْ هَذِهِ الصَّخْرَةِ إِلَّا أَنْ تَدْعُوا اللَّهَ بِصَالِحِ أَعْمَالِكُمْ).

فتوسَّلَ الأوَّلُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى بِبِرِّهِ لَوَالِدِيهِ، وَتَوَسَّلَ الثَّانِي إِلَى اللَّهِ تَعَالَى بِتَرْكِهِ الْفَاحِشَةَ، وَتَوَسَّلَ الثَّلَاثُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى بِإِعْطَائِهِ الْأَجِيرَ أَجْرَهُ كَامِلًا بَعْدَ تَنْمِيتِهِ لَهُ.

الشَّاهِدُ: فَيَمَنُ تَوَسَّلَ إِلَى اللَّهِ بِتَرْكِهِ الْفَاحِشَةَ: أَنَّهُ قَالَ: (اللَّهُمَّ إِنَّهُ كَانَتْ لِي ابْنَةٌ عَمُّ أَحَبُّهَا كَأَشَدَّ مَا يُحِبُّ الرِّجَالُ النِّسَاءَ، فَطَلَبْتُ إِلَيْهَا نَفْسَهَا فَأَبَتْ حَتَّى آتَيْهَا بِمِئَةِ دِينَارٍ، فَسَعَيْتُ حَتَّى جَمَعْتُ مِئَةَ دِينَارٍ فَلَقَيْتُهَا بِهَا، فَلَمَّا قَعَدْتُ بَيْنَ رِجْلَيْهَا قَالَتْ: (يَا عَبْدَ اللَّهِ، اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تَفْتَحِ الْخَاتَمَ) فَقَمْتُ عَنْهَا، اللَّهُمَّ فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي قَدْ فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ فَافْرَجْ لَنَا مِنْهَا).

فانفرجت الصَّخْرَةُ بَعْدَ دَعَوَاتِ الثَّلَاثَةِ وَخَرَجُوا يَمْشُونَ.

القصة بطولها في «الصحيحين».

ثم قال **رَحِمَهُ اللَّهُ**: (السادس: رجلٌ تصدَّق بصدقة فاجتهد في إخفائها غاية الاجتهاد حتى لم يعلم به إلا الله، وضرب المثل لذلك على طريق المبالغة: «حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ»): والمراد بذلك: التدليل على شدة إخفائه الصدقة وإسراره بها، بحيث لو فرض أن الشمال رجلٌ متيقِّظ وتصدَّق الإنسان يمينه كما شعر ذلك الرجل بصدقته. قال: (وهذا دليلٌ على قوَّة الإيمان والاكتفاء باطلاع الله على العبد وعلمه به، وفيه مخالفةٌ للهوى ومجاهدةٌ للنفس، فإنَّها تحبُّ إظهار الصدقة، والتَّمَدُّحُ بها عند الخلق، فيحتاج في إخفاء الصدقة إلى قوَّةٍ شديدة تخالف هوى النفس): وفي هذا: فضل إخفاء الصدقة، وفضل إخفاء العمل الصَّالح عمومًا، وقد كان السلف أحرص شيءٍ على ذلك، فكانوا يستحبُّون أن تكون للرجل خبيثة من عمل صالح لا يعلم بها أحد، وخير العمل: أخفاه، وأبعده من الشيطان، وأمنعه من الرياء.

قال الحافظ ابن رجب **رَحِمَهُ اللَّهُ**: (وخرَّج الإمام أحمدُ والترمذيُّ من حديث أنسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «لَمَّا خَلَقَ اللَّهُ الْأَرْضَ جَعَلَتْ تَمِيدٌ، فَخَلَقَ الْجِبَالَ فَالْقَاهَا عَلَيْهَا فَاسْتَقَرَّتْ، فَعَجِبَتِ الْمَلَائِكَةُ مِنْ خَلْقِ الْجِبَالِ، فَقَالُوا: يَا رَبِّ، فَهَلْ مِنْ خَلْقِكَ شَيْءٌ أَشَدُّ مِنَ الْجِبَالِ؟) قَالَ: (نَعَمْ، الْحَدِيدُ)، قَالُوا: (يَا رَبِّ، فَهَلْ شَيْءٌ مِنْ خَلْقِكَ أَشَدُّ مِنَ الْحَدِيدِ؟) قَالَ: (نَعَمْ، النَّارُ)، قَالُوا: (يَا رَبِّ، فَهَلْ مِنْ خَلْقِكَ شَيْءٌ أَشَدُّ مِنَ النَّارِ؟) قَالَ: (نَعَمْ، الْمَاءُ)، قَالُوا: (يَا رَبِّ، فَهَلْ مِنْ خَلْقِكَ شَيْءٌ أَشَدُّ مِنَ الْمَاءِ؟) قَالَ: (نَعَمْ، الرِّيحُ)، قَالُوا: (يَا رَبِّ، فَهَلْ مِنْ خَلْقِكَ شَيْءٌ أَشَدُّ مِنَ الرِّيحِ؟) قَالَ: (نَعَمْ، ابْنُ آدَمَ يَتَصَدَّقُ بِيَمِينِهِ يُخْفِيهَا مِنْ شِمَالِهِ))، والحديث ضعيف الإسناد، قال الترمذي عَقِبَهُ: (هذا حديثٌ غريبٌ، لا نعرفه مرفوعًا إلا من هذا الوجه).

ثم قال الحافظ ابن رجب رَحِمَهُ اللهُ: (السَّابِع: رَجُلٌ ذَكَرَ اللهُ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ): ذَكَرَ اللهُ فِي مَوْضِعٍ خَالٍ بَعِيدًا مِنَ النَّاسِ، لِيَكُونَ أَبْعَدَ مِنَ الرِّيَاءِ وَالشُّمُوعَةِ وَأَقْرَبَ إِلَى الْإِخْلَاصِ.

(فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ): سَالَتْ مِنْهُمَا الدَّمُوعُ مِنْ خَشْيَةِ اللهِ، وَقُوَّةُ يَقِينِهِ بِهِ سُبْحَانَهُ.

وَمِمَّا يُنَبِّهُ إِلَيْهِ هُنَا: أَنَّ ذِكْرَ (الرَّجُلِ) لَا مَفْهُومَ لَهُ، بَلْ جَمِيعُ مَا فِي الْحَدِيثِ مِنَ الْخِصَالِ تَشْتَرِكُ فِيهِ الْمَرْأَةُ مَعَ الرَّجُلِ، إِلَّا إِنْ أُريدَ بِ(الإمام العادل) الإمامة العظمى، وَأَمَّا عَلَى تَفْسِيرِهِ بِ(كُلِّ مَنْ لَهُ وَلَايَةٌ عَلَى غَيْرِهِ: فَهُوَ يَعْدِلُ فِيهَا) كَمَا رَجَّحَهُ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ وَابْنُ حَجَرٍ: فَإِنَّ الْمَرْأَةَ تَدْخُلُ، كَأَنَّ تَكُونَ ذَاتَ عِيَالٍ فَتَعْدِلُ فِيهِمْ. وَتَخْرُجُ خَصْلَةً مُلَازِمَةً الْمَسْجِدِ، لِأَنَّ صَلَاتَهَا فِي بَيْتِهَا أَفْضَلُ. وَمَا عَدَا ذَلِكَ: فَالْمُشَارَكَةُ حَاصِلَةٌ لَهُنَّ.

قال الحافظ ابن رجب رَحِمَهُ اللهُ: (فهذا رجلٌ يخشى الله في سرِّه، ويراقبه في خلوته، وأفضل الأعمال: خشية الله في السرِّ والعلانية، وخشية الله في السرِّ إنما تصدر عن قُوَّةِ إيمان ومجاهدةٍ للنفس والهوى، فَإِنَّ الْهَوَى يَدْعُو فِي الْخُلُوةِ إِلَى الْمَعَاصِي، وَلِهَذَا قِيلَ: (إِنَّ مِنْ أَعَزِّ الْأَشْيَاءِ: الْوَرَعَ فِي الْخُلُوةِ).

وَذِكْرُ اللهِ يَشْمَلُ ذِكْرَ عَظَمَتِهِ وَبَطْشِهِ وَانْتِقَامِهِ وَعِقَابِهِ، وَالبكاء النَّاشِئُ عَنْ هَذَا هُوَ بَكَاءُ الْخَوْفِ.

وَيَشْمَلُ ذِكْرَ جَمَالِهِ وَكَمَالِهِ وَبِرِّهِ وَلُطْفِهِ وَكَرَامَتِهِ لِأَوْلِيَائِهِ بِأَنْوَاعِ الْبِرِّ وَالْأَلْطَافِ، لَا سِوَمَا بِرُؤْيَيْهِ فِي الْجَنَّةِ، وَالبكاء النَّاشِئُ عَنْ هَذَا هُوَ بَكَاءُ الشُّوقِ.

وَيَدْخُلُ فِيهِ أَيْضًا: رَجُلٌ ذَكَرَ أَنَّ اللهَ مَعَهُ حَيْثَمَا كَانَ، فَتَذَكَّرَ مَعِيَّتَهُ وَقُرْبَهُ وَاطِّلَاعَهُ عَلَيْهِ حَيْثُ كَانَ فَيَبْكِي حَيَاءً مِنْهُ، وَهُوَ مِنْ نَوْعِ الْخَوْفِ أَيْضًا).

(وَخَرَجَ الطَّبْرَانِيُّ) في «المعجم الكبير» (بإسناد فيه ضعف: عن أبي أمامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعاً: «ثَلَاثَةٌ فِي ظِلِّ اللَّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ: رَجُلٌ حَيْثُ تَوَجَّهَ عِلْمَ أَنَّ اللَّهَ مَعَهُ»).
وتمامه: «وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ إِلَى نَفْسِهَا فَتَرَكَهَا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ، وَرَجُلٌ أَحَبَّ بِجَلَالِ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ».

قال الحافظ ابن رجب رَحِمَهُ اللَّهُ: (وهذا الحديث يدل على أن هؤلاء السبعة يُظَلُّهم الله في ظلِّه، ولا يدلُّ على الحصر، ولا على أن غيرهم لا يحصل له ذلك، فإنَّه صحَّ عن النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ «مَنْ أَنْظَرَ مُعْسِراً أَوْ وَضَعَ عَنْهُ أَظْلَهُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ»، خَرَّجَهُ مُسْلِمٌ مِنْ حَدِيثِ أَبِي الْيَسَرِ الْأَنْصَارِيِّ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) دون زيادة «يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ» وهي عند الدَّارِمِيِّ والطَّبْرَانِيِّ في «الكبير».

قال: (وَخَرَجَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ وَالتِّرْمِذِيُّ وَصَحَّحَهُ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ نَفَسَ عَنْ غَرِيمِهِ أَوْ مَحَا عَنْهُ كَانَ فِي ظِلِّ الْعَرْشِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»): هو في «مُسْنَدِ الْإِمَامِ أَحْمَد» مِنْ حَدِيثِ أَبِي قَتَادَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ كما في «صحيح التَّرمِيزِ والترَّهيب».

وأما حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الَّذِي عِنْدَ أَحْمَدَ وَالتِّرْمِذِيِّ: فَهُوَ حَدِيثٌ «مَنْ نَفَسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ الدُّنْيَا نَفَسَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ» الْحَدِيثُ بِطَوْلِهِ، وَلَيْسَ فِيهِ مَوْضِعُ الشَّاهِدِ، بَلْ هُوَ عِنْدَ مَنْ الْعَزُو إِلَيْهِ أَوْلَى، وَهُوَ مُسْلِمٌ فِي «الصَّحِيح».

وَعَرَضَ الْحَافِظُ ابْنُ رَجَبٍ رَحِمَهُ اللَّهُ مِنْ إِيرادِ هَذِهِ الْأَحَادِيثِ الَّتِي أوردَها آخِراً: أَنَّ الَّذِينَ يُظَلُّهم الله في ظلِّه أَكْثَرُ مِنَ السَّبْعَةِ الْمَذْكُورِينَ فِي حَدِيثِ («سَبْعَةٌ يُظِلُّهم الله فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ»).

وتوضيح ذلك: أنَّ مفهوم العدد من المفاهيم المُعتبرة على الصَّحيح، والعمل به معلومٌ من لغة العرب ومن الشَّرع إلَّا إذا دلَّ دليلٌ على عدم اعتباره، كما هو مُقرَّر في أصول الفقه، كما في حديثنا هذا، فقد دلت الأدلَّة على أنَّه يدخل في هذا الفضل غير السَّبعة المذكورين، يكفي في ذلك: حديث مسلم الَّذي ذكره الحافظ ابن رجب: ((مَنْ أَنْظَرَ مُعْسِرًا أَوْ وَضَعَ عَنْهُ أَظْلَهُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ))، وهاتان الخصلتان -إنظار المُعسر والوضع عنه- غير السَّبعة الماضية، فدلَّ على أنَّ العدد المذكور لا مفهوم له.

وللحافظ ابن حجر جزءٌ أسماه «معرفة الخصال المُوصلة إلى الظلال»، ذكر ذلك في «فتح الباري»، وتجدون في مُقدمة المعني -جزاه الله خيرًا ونفع به وبارك فيه وأجرى الخير على يديه- ذكْرَ جملةٍ ممَّا أفرد في هذا الباب من مؤلَّفات.

قال الحافظ ابن رجب رَحِمَهُ اللَّهُ: (وهذا يدلُّ على أنَّ المراد بـ (ظِلُّ الله): ظِلُّ عَرْشِهِ): يريد لفظ الحديث السَّابق: «مَنْ نَفَسَ عَنْ غَرِيمِهِ أَوْ مَحَا عَنْهُ كَانَ فِي ظِلِّ الْعَرْشِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»، وورد أيضًا من حديث سلمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند سعيد بن منصور في «السُّنن»، وحسَّن إسناده الحافظ في «الفتح»: «سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّ عَرْشِهِ»، فهذا يدلُّ على أنَّ المراد بـ (ظِلُّ الله): ظِلُّ عَرْشِهِ.

والإضافة في قوله: ((يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ)): هي للتَّشريف، كـ (بيت الله). نسأل الله أن يكرمنا وأن يجعلنا ممَّن يُظِلُّهم في ظلِّه يوم لا ظِلَّ إلَّا ظِلُّهُ. ونسأله أن يعيننا على ذِكْره وشُكْره وحُسن عبادته.

وآخر دعوانا: أن الحمد لله ربِّ العالمين.

وصلَّى الله وسلَّم على نبيِّنا محمَّد وعلى آله وصحبه أجمعين.



الأسئلة

السؤال: ما معنى «تَوَطَّنَ» في الحديث؟

الجواب: («مَا تَوَطَّنَ رَجُلٌ الْمَسَاجِدَ لِلصَّلَاةِ وَالذِّكْرِ»): أي لآزَمَ حضور المساجد.



السؤال: أثر سعيد بن المسيَّب: (مَنْ جَلَسَ فِي الْمَسْجِدِ فَإِنَّمَا يُجَالِسُ رَبَّهُ عَزَّوَجَلَّ):

ماذا يفيد؟ أو ما الذي يُحدِثه في نفس المؤمن؟

الجواب: هذا يُورِث العبدَ حضور القلب في ذِكْرِ الله عَزَّوَجَلَّ، وأن يستحضر أن الله

عَزَّوَجَلَّ يراه ويسمعه ويُشِبهه ويجيب دعاءه ويجبر كسره، إلى غير ذلك من معاني الرُّبُوبِيَّةِ الخاصَّة.



السؤال: هل يتناقض وقوع بعض الذُّنُوب أو التَّقْصِير من الشَّاب مع دخوله في معنى

(«وَشَابُّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ رَبِّهِ عَزَّوَجَلَّ»)?

الجواب: لا يتنافى، لأنَّ المؤمن مُفَتَّنٌ تَوَّابٌ، ولا يخلو أحدٌ عن الوقوع في معصية،

فِيُبادِر إلى التَّوْبَةِ مِنْ ذَنْبِهِ.



السؤال: ما المراد بـ («وَشَابُّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ رَبِّهِ عَزَّوَجَلَّ»)?

الجواب: المقصود: غالب حاله، أنَّه بعيدٌ عن الفِتَنِ، قد أبعدَ نَفْسَهُ عن المعاصي،

فإن وقع في شيءٍ مِنْ ذَلِكَ وتاب فذلك لا يُخْرِجُهُ عَنْ كونه شَابًّا نَشَأَ فِي عِبَادَةِ رَبِّهِ

عَزَّوَجَلَّ، وَيُرْجَى لَهُ الْفَضْلُ الْوَارد فِي هَذَا الْحَدِيثِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ.



السؤال: ما علاج جمود العين؟ وكيف يبلغ المؤمن حال («فَافَاضَتْ عَيْنَاهُ»)?

الجواب: من أعظم علاج ذلك:

- اللّجأ إلى الله، ودعاؤه، فإنَّ العبد إذا وُقِّق لسؤال الله **عَزَّجَلَّ** فما أقرب الإجابة، هذا شيء.

- شيء آخر: الإكثار من الذكر، فمن أعظم ما يُرَقِّق القلوب: أن يُكثِر العبد من ذكر الله **عَزَّجَلَّ**.

وَادْكُرْ بِقَلْبٍ خَاشِعٍ مَجْمُوعٍ وَمُقْلَةٍ تَفِيضُ بِالْدُّمُوعِ
بِالْأَلْفِ وَالْأَلْفَيْنِ وَالثَّلَاثِ مَا غَافِلُ الْقَلْبِ كَمَثَلِ الْجَائِي
فِيكثِرَ جَدًّا مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ **عَزَّجَلَّ**.

وقد صحَّ عن أبي هريرة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**: أَنَّهُ كَانَ يَسْتَغْفِرُ اللَّهَ **عَزَّجَلَّ** فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ اثْنِي عَشَرَ أَلْفَ اسْتَغْفَارٍ.

مثلاً: في كم من الوقت تستغفر مئة مرّة؟

لو قيل مثلاً: في دقيقة، على هذا: اثنا عشر ألف استغفار يحتاج إلى مئة وعشرين دقيقة، أي إلى ساعتين، فهو يعطي ساعتين من يومه للاستغفار فقط! وهذا من أعظم ما يُرَقِّق القلب.

ويُكثِر من تلاوة القرآن، فَنِعْمَ الشِّفَاءُ هُوَ لِلْقَلْبِ، ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: ٥٧].



السؤال: مَرَّ معنا قول (بعض السلف): (إذا كان لك أخ تحبه في الله فأحدث حدثاً فلم تبغضه في الله لم تكن محبته لله)، أو هذا المعنى): كيف يُجمع بينه وبين حال الوفاء لِمَا تقدَّم من حُسن صُحبةٍ أو نفعٍ؟

الجواب: يكون عنده وفاء لكن لا يَبْذُل دينه من أجل صاحبٍ لا يُقَرِّبه إلى الله **عَزَّجَلَّ**، فالمؤمن الصادق دينه أوقر في نفسه وأعظم في صدره من أن يجعله عرضةً للضعف بسبب صُحبةٍ من لا يُقَرِّبه إلى الله **عَزَّجَلَّ**، فيحفظ العهد ولا يضره بل يُحسِّن إليه، لكن إذا كان يُقَرِّبه إلى الله صَحْبِهِ، ويدخل في هذا الحديث إن شاء الله، أمّا إذا كان يضعف معه دينه فدينه أغلى.

وقد قال مالك بن دينار لصاحبٍ له اسمه المغيرة: (يا مغيرة، انظر كل جليسٍ وصاحبٍ لا تستفيد في دينك منه خيراً: فانْزِدْ عنك صُحبته).
فينبغي أن ينظر، فَمَنْ تُقَرِّبه صُحبته إلى الله فهذا الذي يُصَحِّبُ، أمّا مَنْ لا تُقَرِّبه صُحبته إلى الله: فيُحسِّن إليه لكن يصحب الصالحين.

وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: «الْمَرْءُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ، فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ»، وقال صلى الله عليه وسلم: «لَا تُصَاحِبْ إِلَّا مُؤْمِنًا، وَلَا يَأْكُلْ طَعَامَكَ إِلَّا تَقِيٌّ».



السؤال: أي صيغة للاستغفار؟

الجواب: الأمر في هذا واسع:

- يقول: (أستغفر الله).

- أو يقول: (رب اغفر لي).

- أو يقول: (اللهم اغفر لي).

والمُقَدِّم في ذلك: هو الَّذي يحضر فيه قلبه، حتَّى لو كان حضور القلب يحصل بتغيير الصَّيغ، فيقول: (أستغفر الله) ويكرِّرها كثيرًا، ثمَّ ينتقل إلى (اللَّهمَّ اغفر لي)، ثمَّ ينتقل إلى (ربِّ اغفر لي)، ثمَّ يقول: (أستغفر الله وأتوب إليه)، وهكذا، فيفعل ما كان أصلح لقلبه.

وورد في الأثر عن مالك بن دينار: أنَّه قال: (كان الأبرار يتواصون بكثرة الاستغفار).

